تفريغ محاضرة

وتحسبونه هيّنًا

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٦/٢/٢٢ هـ

(وتحسبونه هيّنًا)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، أما بعد..

يقول الله عزّ وجلّ: {إِذ تَلَقَّونَهُ بِأَلسِنَتِكُم وَتَقولونَ بِأَفواهِكُم ما لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ وَتَحسَبونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظيمٌ} (النور، ١٥)،

قيلت هذه الآية في التعليق على حادثة الإفك المعروفة التي حصلت لعائشة رضي الله عنها -وقد تحدّثنا عنها في درس سابق- هذه الآية جاءت تعاتب بعض الصحابة على طريقة تلقّيهم خبر الحادثة، والكلام الذي أشيع عن عائشة رضي الله عنها وقذفها في عرضها، هم لم يتكلّموا، ولم يؤمنوا بما قيل، لكنّ الكلام بمروره من عندهم فقط، استحقوا هذا العتاب "وتحسبونه هيّنًا"،

مجرّد تمرير الكلام أو حضور مجلس قيل فيه ولم تنكر، لأنّه لم يكن لديك حجّة ولم تكن متثبّتًا، فسكتَّ وحصل هذا القذف بحضورك، قال الله عزّ وجلّ: {... وَتَحسَبونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظيمٌ} (النور،١٥)

حديثنا اليوم عن شيء نعايشه كثيرًا في اليوم والليلة، هذه الكلمة "وتحسبونه هيّنًا" لم تأتِ فقط بهذا الصدد في قضية القذف، جاءت في كثير من الأمور التي يحسبها الإنسان هيّنة وهي عند الله عظيمة،

تلك الأمور قد تكون من أعمال القلوب، وقد تكون من أعمال اللسان، وقد تكون من أعمال الجوارح، قد يكون شيئًا تمارسه يوميًّا ضمن برنامجك اليوميّ، قد لا تعلم أنّ ما تعايشت معه وتتعامل معه على أنّه طبيعيّ هو عند الله عظيم، وأي عظيم!

يقول الصحابيّ أنس بن مالك رضي الله عنه لبقايا الصحابة والتابعين الّذي لحق بهم، والّذين لم يروا النبيّ ﷺ لكنّهم رأوا الصحابة، فهم إمّا أبناء الصحابة، أو أبناء أبنائهم، أو من المسلمين الجدد، وأولئك هم القرون الثلاثة المفضلة، فيقول لهم أنس رضي الل عنه : "**إنّكم لتعملون أعمالًا هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعر إن كنّا لنعدها في عهد الرسول ﷺ من الموبقات**"،

تخيّل أنّهم كانوا يعدّون الأعمال التي جاءت في القرن الثالث، ونحن هنا نتكلّم عن القرن الذي إذا كان هناك أحد عمره مئة سنة الآن، فهو لحق بهؤلاء التابعين، يقول إنّه مع ما كان فيه من الإيمان كانوا يعدّونها من الموبقات،

والموبقات هي كبائر الذنوب التي توبق الإنسان وتدخله عذاب جهنّم، وهذا أمر خطير جدًّا، التعايش مع المحرّمات بشكل يوميّ، وأن يكون هناك في تفاصيل حياتنا اليوميّة، وكلامنا اليوميّ، وأفعالنا اليوميّة من الحرام الذي لا نعلم أنّه حرام.

أذكر إحدى الأخوات التي كانت تحضر هذا المجلس، كنّا نتكلم حينها عن الذنوب والخطايا، وكيف يغفرها الله عزّ وجلّ، وأشياء بهذا الصدد، ثم قالت بعدما انتهيت من الحديث: "أنت تتكلمين وتتكلمين ونحن لا نعلم ما هي الذنوب وما هي الخطايا غير الزنا والقتل والسرقة، تلك معروفة، لكن ما هي الذنوب والخطايا الأخرى؟"

السؤال أشعل لي أكثر من مصباح في عقلي، هناك الكثير من الناس التي قد تتعايش مع الذنب لأنّ أحد والديهم يفعله، أو لأنّ العائلة كلها اعتادت القيام به، ولأنّ المجتمع كلّه يفعل هذا الفعل، وتذهب لوظيفة أو لأيّ مكان فيتعايشون مع هذا الذنب الّذي لا يرضاه الله عزّ وجلّ، وقد يكون فيه نصٌّ بلعن أو طرد من رحمة الله عزّ وجلّ أصلًا.

درسنا اليوم يتحدّث عن هذه الأمور الهيّنة والسريعة، وأظنّ أنّ الأمور اللفظيّة هي الأكثر تداولًا، ثم نتطرّق بعدها للأعمال القلبيّة الّتي يظنّها الناس هيّنة، ثم في مرّات قادمة نتكلّم حول ما يمكن أن يفعله الإنسان بجوارحه، يده ورجله ووجهه، يفعلها يوميًّا لكنّها من الأمور العظيمة عند الله عزّ وجلّ.

سأل عقبة بن عامر رضي الله عنه النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: [أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك] (١)، وأسئلة الصحابة دوماً ما تكون مباشرة "ما النجاة؟" أي أعطني شيئًا واحدًا أقوم به فأنجو من امتحان الدنيا، وأنجو عند الله في الآخرة، فقال له ﷺ:

"**أمسك عليك لسانك**"، ونحن البشر لدينا مشكلة في إمساك ألسنتنا، فاللسان وضع بين طبقتين في الداخل، ولا يوجد عضو محفوظ بين طبقتين كحاجز، إلّا العين واللسان، لتغمض عينيك وتغلق فمك، ومن رحمة الله عزّ وجلّ أنّها ليست جارحة كاليد مفتوحة، فاللسان ليس مفتوحًا من أجل أن تكبح جماحك، وتقف وتضغط على الفرامل قبل أن تتكلّم، فتزمّ شفاهك لتفكّر، هل ما سأقوله صحيحًا أم لا؟

"**وليسعك بيتك**"، واليوم بيوتنا لا تسعنا، نكتئب بمجرّد مرور يوم دون الخروج من المنزل، وكأنّه شيء خاطئ، وحادث كبير، وتشعر بالهمّ والغمّ لغروب شمس اليوم دون أن تخرج من بيتك، وكأنّ اليوم ضاع، هو لم يضع، بل على العكس لربما هو أفضل يوم على ما قمت به من إنجازات لأنّك لم تخرج،

"**وابكِ على خطيئتك**"، ولو تكلمنا عن النجاة من هذه الناحية، فمن المهم ألا يُصادر إحساسك بالذنب، هناك من يراجع نفسه مرارًا، ويؤنبه ضميره بكثرة لكلمة قالها، أو لحركة أزعجت من أمامه، لا ينام ليلته لأنّه أذنب، فيأتي من يطبطب عليه أنِ استغفر، وهذا بسيط، ولا عليك، لا تشعر بذلك، هناك من لم تتحجب، إلى أخره، أولئك الذين يهوّنون ذلك الأمر، يريدون مصادرة الشعور بالذنب من قلبك، مجرّد بكائك على خطيئتك هذا شيء من النجاة، أن يكون قلبك

---

١ أخرجه الترمذي في السنن وقال الألباني صحيح

حيًّا، لا زال يستشعر الذنوب والمعاصي وخطؤك الذي ارتكبته، لست راضيًا عن نفسك، قد ينجيك وينقذك الله بهذا، هناك من يعتقد أنّ هذا من الوسوسة، لكن يجب أن يبقى جزء من تأنيب الضمير حيًّا، لأنّه يحدّد بوصلتك، والشاهد من الحديث "أمسك عليك لسانك"

في حديث آخر عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت: [يا رسول الله حدّثني بأمر أعتصم به، قال: "قل ربّي الله ثم استقم"، قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ قال: فأخذ بلسان نفسه ثمّ قال: "هذا"] (٢)، وهذا أيضًا مثال على أسئلة الصحابة الدقيقة، أسئلة من يريد النجاة، لا يسألون عن الأسهل والأخفّ، أو الحرام والمكروه، بل عن شيء يلتزم به، عن وصيّة، فقال له ﷺ: "قل ربّي الله ثم استقم"، ثمّ سأله: ما أخوف ما تخاف عليّ؟، قد مرّت عليك لحظة تسأل صاحبك عن نقاط ضعفك، عمّا يعرفه عنك، وأنّك لماذا تخطئ؟، هذا مصداق سؤال الصحابيّ رضي الله عنه، فأخذ رسول الله ﷺ بلسانه ثمّ قال: "هذا" وهذا يعني أن كل شيء فيك حسن، ولكنّي أخاف عليك من لسانك.

وفي حديث آخر لمعاذ قال: [يا نبيّ الله، وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟، قال: "ثكلتك أمّك يا مُعاذ، وهل يُكبّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم، إلّا حصائد ألسنتهم] (٣)، فكانت حصائد الألسن سببًا لأن يكون أولئك الناس في النار.

ويقول النبيّ ﷺ: [إنّ العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات] (٤)، كنتَ في مجلس وسمعت أحدًا يتكلم على آخر، ثمّ بلغت دين الله عزّ وجلّ ولو كانت آية أو حديث، "سمعت كذا وكذا"، "وحكم ذلك كذا" وكنت واثقًا من صحة ما تقول، وإن لم تكن أحسن الحاضرين، ولكنّك وضّحت محاولاتك بأن تتحلّى بهذه الخصال ولم تستطع حتى الآن، وربّ مبلّغ أوعى من سامع، قد تخبرهم بحديث الزهراوين البقرة وآل عمران ولم تحفظها، ولكنّ أحد الحاضرين حفظها فكان أجرها في ميزان حسناتك، هذا الأجر قد يكسبك مخزونًا إيمانيًّا يجعلك قادرًا على حفظ السورتين بعدها، فهي كالسلسلة شيء يجرّ شيئًا.

أحد الشباب المهتمّين بدعوة غير المسلمين، دعوة الجاليات كالفلبينيّين مثلًا أو اليهود وغيرهم، عندما يرى لهم تجمّعًا في محطّة قطار أو إحدى الأماكن، يصطفُّ بينهم ويدخل معهم، حينما يرى أنّهم في لحظة انتظار مثلًا يسأل: "أتريد أن تعرف شيئًا عن الإسلام؟"، بعضهم يجيب لا، والبعض الآخر يقول نعم، فيحدّث هذا الرجل عن إحدى هذه الحوادث ويقول: "كنتُ مرّة في محطّة الحافلات، نزلت فسألت أحد الموجودين، وكان على غير الإسلام، هل

---

٢ أخرجه الترمذي في السنن، وقال الألباني صحيح

٣ أخرجه الترمذي في السنن وقال الألباني صحيح

٤ أخرجه البخاري، صحيح

تريد أن أحدثك عن الإسلام؟ أتعرف شيئًا عن الإسلام؟ فأعطاني ظهره وقال: لا -أي أنّي لا أريد ولا تزعجني- فسكتّ، فجاءني واحد من بعيد، من قرابة أربعة صفوف لينكز ظهري، وقال: "أنا أريد أن أعرف"،

يقول فلم تكن دقائق قرأت عليه عدة آيات وشرحت له بعض المفاهيم في الإسلام، وعن لا إله إلّا الله، فقال فورًا: "أنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله" كان يفكّر بهذا منذ زمن، كان يريده، كان ينتظر تلك الوكزة فقط، هل تتخيّل! إنّ "الرجل ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا"، ممكن تتكلمين مع ممرّضة، مع مصفّفة الشعر، مع أي أحد، أولئك الذين نعايشهم بشكل يوميّ، لكنّك قد لا تفكّر بأن يكون لك أثر معهم،

والعكس أيضًا، وقد تكون كلمة لم يلقِ لها بالًا فجعلته في النار من سخط الله عزّ وجلّ، قد تكون نكتة في الدِّين عن رجال الدِّين، عن الملتحين، عن تقصير الثوب، عن شكل العباية، عن أيّ شيء، أيّ نكتة سخيفة تقولها ليضحك الناس وقصدك المزاح، من سخط الله تهوي في النار سبعين خريفًا، قد يجيء في بالك أن سبعين سنة في النار على كلمة شيء كثير، لكن هي مقادير الأمور من عند الله عزّ وجلّ، والله عدل لا يمكن أن يجازي أحدًا بأكثر ممّا قال، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ} (غافر، ٤٠)، لثقل الكلمة التي قالها، أسخطت الله عزّ وجلّ في عليائه، كلمةٌ همزتَ ولمزتَ بها، أو طعنت في أمور الدِّين، تلقي بك في النار سبعين خريفًا.

ومن الأمور أيضًا قول النبيّ ﷺ: [إنّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟، قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمّه] (٥)، لا يوجد إنسان يمكن أن يلعن والديه، ولكنّ الّذي يحدث أن تسبّ وتلعن والد فلان أو أمّه، ثمّ يردّ لك السباب، فأنت الآن وكأنّك سببت أمّك وأباك بالسبّ الّذي سبّبته للآخرين.

ويقول النبيّ ﷺ: [ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء] (٦)، فحينما ترى من يستسهل اللعن مثل: الله يلعنك وغيرها، واللعن هو الطرد من رحمة الله، وما جاء اللعن إلّا في إبليس، والواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، جاء في أمور محدودة ومعدودة بالدِّين، وليس عذابًا لأيّ أحد، إذن فأيّ سباب بتشبيه الآخرين لبعض الحيوانات والكلمات بذيئة، فهذه ليست من أخلاقيات المؤمن، وهناك من يستهزئ بتلك الفئة المحافظة على نظافة لسانها من السبّ،

يقول النبيّ ﷺ: [ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، فإنّ الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء] (٧)، فلو كنت تستسهل الفحش في الكلام والسبّ وبذيء القول، وهناك من يرى هذا من الموضة، أو ممّا يجمع الصداقات بكونه يمتلك لسانًا متبرّئًا منه لا يتوقّف عند أيّ حدّ، فيضحك من حوله على كلامه وأقاويله، فهم

---

٥ أخرجه البخاري، صحيح

٦ "أخرجه الترمذي في السنن وقال الألباني صحيح"

٧ أخرجه الترمذي في السنن وقال الألباني صحيح

كلّهم في نفس السوء، فكان الضابط قوله ليس المؤمن الّذي يفعل هذا، ولذلك جاء في الأثر أنّ أكثر خطايا ابن آدم في لسانه، وقال النبيّ ﷺ: [من صمَتَ نجا، ومن يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنّة](٨)، ما بين رجليه أي فرجه فما ينتهك الحرام، وما بين لحييه أي ما بين فكّيه أي لسانه، فبضمانهما يضمن النبيّ ﷺ لك الجنّة.

وقال النبيّ ﷺ في حديث آخر: [لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنّة من لا يأمن جاره بوائقه] (٩)، فما يستقيم الإنسان إلّا باستقامة قلبه، ولا يستقيم القلب إلّا باستقامة لسانه، أي أنّ فلتات اللسان المستمرّة بالغيبة، والكذب، وقول الحرام، والمجاهرة بالمعصية، هي إشارة على عدم استقامة القلب، قد يفلت اللسان، ما من إنسان إلّا وقد يخطئ، نحن بشر ولسنا ملائكة، ولكن هناك فرق بين من يخطئ مرّة في السنة، مرّة في الشهر، وبين من يفعلها خمس وعشرين مرّة في اليوم، وهذه كانت مقدمة للأشياء اللسانيّة التي يفعلها الناس وهم ليسوا على دراية بأنّها محرمة، نبدأ بها الآن:

إحدى هذه الأمور الكذب، والكذب من أبغض الأخلاق الّتي كان النبيّ ﷺ يبغضها، وقد نفهم أنّ الكذب يكون في حادثة معينة يكذب بها، ولكن هناك كذب يوميّ نمارسه حينما نمزح مع الآخرين، فيقوم أحدهم ليخبر بقصة، ولو قالها كما كانت لأصبحت "ماصخة" لا تُضحك، فيقول: "ومات من الخوف، أو مات من الضحك، وحدث أنّها طارت"، هذه ليست تعابير بسيطة، بل إدخالٌ لحوادث لم تحصل في القصة الحقيقيّة، "أحدهم صرخ على الآخر فتحلّق عليه من حوله" وهو في الحقيقة لم يلتفت إليه أحد، أو سقط ولكن لم ينزعج أحد من صوته، لكن تضاف تلك الأمور حتى تتبهّر القصة، وتصبح مضحكة،

ويقال في بعض الأحيان أن هذا أسلوب الشخص، لا إشكال في التحدث بأسلوبك الرائع المضحك، لكن دون الزيادة في الحدث ما ليس منه، فهذا كذب، قال النبيّ ﷺ: [آية المنافق ثلاث] واحد منها [إذا حدّث كذب] (١٠)، وقال: [ويلٌ للّذي يحدّث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له] (١١) وفي رواية أخرى: [ويلٌ للّذي يحدّث فيكذب ليضحك به القوم ويلٌ له ويلٌ له] (١٢) فيكذب ليصبح له حضور في الجلسة، وليضحك من حوله، فكان له الويل كما يقول ﷺ.

---

٨ أخرجه البخاري، صحيح.

٩ أخرجه أحمد في المسند وقال الألباني حسن

١٠ أخرجه البخاري، صحيح

١١ أخرجه الترمذي في السنن وقال الألباني حسن

١٢ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني حسن

وهناك ظاهرة الأمهات اللاتي يقمن بوعود كاذبة "لو نمت مبكرًا سأفعل كذا" ثمّ لا تفعل هذه الأمّ شيئًا، أو قد تقول مهدّدة: "سأكلّم أباكم" وهي لن تكلّمه، أما لو نست وغيره من السهو فهذا شيء آخر، أمّا لو كانت مقرّة بأنها لن تفعل، وتقوم بهذه المقايضات للسيطرة على أبنائها فقط، فهذا كذب،

وجاء هذا في حديث النبيّ ﷺ للصحابية التي رآها وهي تقول لطفلها عامر بن ربيعة رضي الله عنه حيث قال: [دعتني أمّي يومًا ورسول الله قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك -وتشير له بيدها-، فقال لها رسول الله ﷺ: "وما أردت أن تعطيه؟"، قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: "أما إنّك لو لم تعطيه لكتبت عليك كذبة"](١٣)، وهذا ممّا يفعله الكثيرون مع الأطفال "تعال لأعطيك، تعال لأعطيك" ثم لا يكون معه شيئًا، حتى لو كان حضنًا، وهذا من الكذب الّذي يحسب على الإنسان، فالكذب له أشكال،

وكان أبغض خلق إلى النبيّ ﷺ كما قلنا الكذب، قال صحابته رضي الله عنهم : [ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، وإنّ كان الرجل يحُدّث عند النبيّ ﷺ بالكذب، فما يزال في نفسه -يعني رسول الله- منه حتّى يعلم أنه قد أحدث منها توبة] (١٤)،كأن ترد فتاة على الهاتف فتقول كاذبة أنّ أمّها تصلّي، أو أنّها غير موجودة، وهي ما كانت كذلك، فيجب عليها التوبة، وليست بالاستغفار البارد الّذي ليس فيه أي نيّة للتوبة، بل تعيدها عند أوّل فرصة، بل تحدث توبة نصوحًا بألّا تعود إليه أبدًا،

يقول النبيّ ﷺ: [إنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقًا، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإنّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً] (١٥)، الأشياء التي تفعلها يوميًّا من قرارات، وحكاياتك العاديّة التي قد تكذب بها، لأنّك لو لم تكذب ستصاب بالحرج أمام زملائك، ستكذب لأنّهم لو علموا أنّ الصيف ذهب منك دون تخطيط فسيبدو شكلك سخيفًا، ستكذب بأنّك فعلت وسافرت وذهبت، هذه الأمور سواء كانت كذبًا أو صدقًا تسجل في دواوين سماويّة، تخيّل أن يكتب اسمك، ثمّ بجانبه فلان الكاذب، فلان الصادق! وهذا يكون بناء على يوميّاتك وأحاديثك وقرارتك بشكل عام.

وللكذب أنواع، أوّلها كذب المشايخ، وهؤلاء ليسوا المشايخ المعروفين الأصليين أصحاب العلم، لا بل مشايخ ما يطلبه المستمعون، لم يخط له شارب بعد، ويظهر في برنامج بقولهم الشيخ العلامة فلان، فيجيز الوضوء بالمناكير و"التاتو" معلّلًا بأنّه ليس أسودًا، كيف تجيز تلك الأمور؟ وما فرق الألوان!

رأى النبيّ ﷺ رجلًا في غزوة من الغزوات لمّا ذهبوا للوضوء، وكان وضوؤهم في ذلك الحين ليس تحت صنابير وبماء غزير، فهم في الصحاري يتوضأ كلّ واحد بمدّ من الماء -أي أقل من القارورة التي نشربها اليوم- فلمّا رأى النبيّ ﷺ

---

١٣ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني حسن"

١٤ خرجه الترمذي في السنن وقال الألباني صحيح

١٥ أخرجه البخاري، صحيح

مثل الدرهم -القرش- على عقب قدم الرجل من الأسفل لم تأته المياه، قال ﷺ: [ويلٌ للأعقاب من النار] (١٦) ، إذا لم يصح الوضوء لم تصح الصلاة، قد يقعد المرء مدّة شهرين ولم تقبل صلاته، لأنّ وضوءه خاطئ، فتخيّل حين يكون هذا الوضوء خاطئًا من أجل تاتو أو مناكير، اللون الوحيد الذي يجوز عليه الوضوء هو الحناء، لأنّه لون لا يذهب بحكّه، ويظهر اللون بعد حكّه وإزالته، فهذا اللون الّذي يتنفّس، لكن الأمور الأخرى الّتي لها جرم فهي لا تتنفس ولا توصل الماء، حتّى لو كنت لا تتقبلين شكلك بغيرها، ولديك وظيفة ومقابلات، تذكّري صلاتك!

ومن أشدّ أنواع الكذب، الكذب على الله عزّ وجلّ، حينما يفتي الإنسان بغير ما أنزل الله، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} (النحل، ١١٦)،

هؤلاء أخسر الناس يوم القيامة، الّذين افتروا على الله، وهناك نوع آخر أيضًا، كأن تقول إحداهنّ وهي تتكلم مع زميلاتها: "أتعرفون أنّ المناكير هذه تجوز" فيختلط الأمر عليهنّ "لا يجوز، ويجوز، من قال هذا، ومن قال ذاك، تلك متشدّدة لا تأخذون منها شيئًا"، حينما قالت بالجواز بناءً على ماذا؟ هل لديك فتوى أو دليل؟ فتقول: "لا، رأيت تلك المشهورة حينما قامت بدعاية لمنتج ما، قالت أنه يتنفّس، ووضعت الماء وامتصّه"، لا تجوز الفتوى والشرح بشرع الله عزّ وجلّ، اذهبي وابحثي بنفسك هل أباحت اللجنة الدائمة للإفتاء الوضوء على المناكير مثلًا،

فالقضية هنا الافتراء على الله عزّ وجلّ، وتداول هذه الفتاوى بين الناس لتخفّف عن نفسها الذنب، فتقسم لك بأنّها حساسة اتجاه الشيء الفلاني، وأنّه لا مشكلة من القيام به، وتشرح لك اختلافات العلماء فتصدّق من أمامها، وتصدّق الأخرى، ولو طلبت منها اسمًا واحدًا لمن أفتى بذلك تنسى، كيف؟ هذا دين الله عزّ وجلّ لا يؤخذ باللعب، فتحسبونه هيّنًا، يقول الله عزّ وجلّ: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} (النحل، ١١٦)، نحن بين أنفسنا لا نرضى أن يقول أحد على لساننا شيئًا لم نصرّح به، كيف هو شعورك حينما يفتري عليك أحدهم فيقول على لسانك ما لم تقل؟ فكيف بك وأنت العبد الصغير، تفتري على الله، وتشرّع هذا حلال وذلك حرام، وبعضهم لا يكلّف نفسه عناء البحث، فيتحدّث عن أحاسيسه، أحسّ أنّ هذا الأمر حرام وأنّ الآخر حلال.

النوع الثاني من أنواع الكذب، الكذب على رسول الله ﷺ، وهذا له صور كثيرة، من هذه الصور عدم التأكّد ممّا تقوم بنشره من أحاديث تنسب للرسول ﷺ، مثل قول: "النظافة من الإيمان"، هذا شعار يوضع على الجدران، وفي مقدمات الكتب، ولكنّه ليس بحديث، و"خير البرّ عاجله" و"الدين المعاملة" والكثير من الأقوال المتداولة بين الناس،

فمن المهم جدًّا التأكّد من نسبة الأحاديث للرسول ﷺ قبل نشرها وإرسالها، واليوم أصبح الأمر سهلًا جدًّا، بضغطة زر في موقع مثل موقع الدّرر السنيّة، يمكنك التأكّد من صحّة الحديث من عدمه، فحينما يصلك رسالة بحديث عن فضل عمل معيّن، تنسخ رأس الحديث وتضعه في التطبيق، فيظهر لك هل هو صحيح أم ضعيف، ثم تقوم بنشره كما تحبّ،

---

١٦ أخرجه مسلم، صحيح

قال النبيّ ﷺ: [إنّ كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النار] (١٧)، وجاء في الحديث أنّ بعض التابعين سألوا أنس بن مالك رضي الله عنه عن سبب عدم حديثه لرسول الله ﷺ فقال: [إنّه ليمنعني أن أحدّثكم حديثًا كثيرًا، أنّ النبيّ ﷺ قال: "من تعمّد عليّ كذبًا فليتبوّأ مقعده من النار] (١٨)، فتداول الأحاديث عن رسول الله ﷺ أمرًا ليس سهلًا إلّا إذا كنت متأكّدًا منه.

النوع الثالث أن يكذب الإنسان مازحًا، قال ﷺ: [لا يؤمن العبد الإيمان كلّه حتى يترك الكذب في المزاح، ويترك المراء وإن كان صادقًا] (١٩)، وقال في حديث آخر: [أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنّة لمن حسن خلقه] (٢٠)، هذه البيوت في الجنّة كلّها جزاء للأخلاق، البيت الّذي في ربض الجنّة، أي في ودیانها، لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، أي المجادلة في شيء من الدنيا "ذهبت؟ لا والله لم تذهب، من قال لم تذهب؟ وكيف عرفت؟" ثمّ يصبح الجوّ مشحونًا بالتوتّر، وهذا يجب أن يكون كلامه صحيحًا، وهذه حزنت، وتلك غضبت، وهذه تفرض رأيها على الآخرين، وهذا لا يدخل في الأمر بالمعروف،

وبيت في وسط الجنّة لمن ترك الكذب ولو كان مازحًا، إذًا هناك بيت يُبنى لمن نوى ترك الكذب، ومما تكلّمنا عنه سابقًا في حسن البدايات، أن يضع المرء هدفًا له بأن يكون صادقًا ليكتب عند الله صدّيقًا، فلا تكذب بلسانك، ولا بفعلك، فتضع هذا الأمر من ضمن أهدافك، وبيت في أعلى الجنّة لمن حسن خلقه.

<u>ومن أخطر الأمور في هذا النوع من الكذب تمرير الإشاعات</u>، والشاهد على هذا حديث البرزخ الطويل، أظنّه في ثلاث صفحات، في واحد من مشاهد الحديث يتكلّم النبيّ ﷺ عن مشهد عذاب فيقول: [فإنِّي قدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا] -يتحدّث عمّا يرى من عذاب، والشاهد قوله: [فقال له الملكان: "إنّا سنخبرك: وأَمَّا الرَّجُلُ الذي أتَيْتَ عليه، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفَاهُ، ومَنْخِرُهُ إلى قَفَاهُ، وعَيْنُهُ إلى قَفَاهُ، فإنَّه الرَّجُلُ يَغْدُو مِن بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ] (٢١)، رأى ﷺ ملَكًا معه مثل الكلب يمسك بالرجل في فمه يشرشر، يعني يقطعه، فيقطّعه من كلّ مكان، وما إن ينتهي من مكان حتّى يعود الّذي قبله كما كان، ليعود فيقطّعه، عندما رأى النبيّ ﷺ هذه اللقطة المرعبة، تعجّب ممّا فعل هؤلاء حتّى يعذّبوا هذا العذاب ، فكان بسبب كذبة تبلغ الآفاق، وهي الأخبار الكاذبة والإشاعات، بتمريرك لخبر

---

١٧ أخرجه البخاري، صحيح

١٨ أخرجه البخاري، صحيح

١٩ أخرجه أحمد في المسند وقال الألباني صحيح لغيره

٢٠ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني حسن

٢١ ٢١أخرجه البخاري، صحيح

لم تتثبت منه، كأن ينتشر خبر عن شيء ما، فتضعه في مجموعة لترى رأي الناس به، هذا خبر كاذب يشرشر شدقه من أجله، وأقلّ ما يمكن فعله، أن يصرّح ناقل الخبر بعدم علمه صدق الخبر من كذبه، ولذلك كان أمر الكذب، أو المساهمة بالكذب حتّى على الناس، ناهيك عن الكذب على الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ ليس أمرًا هيّنًا.

ومن الأمور التي يحسبها المرء هيّنة وهي عند الله عظيمة، حينما نتأمل في خُطَب النبيّ ﷺ في حجة الوداع، حيث خَطَب ثلاث خُطب، خطبة في يوم عرفة، وأخرى يوم النحر، وواحدة في آخر أيّام النحر، في كلّ الخطب الثلاثة كان يكرّر ﷺ قوله: [إنّ دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا] (٢٢)، فكما أنّ دم المسلم حرام، وماله حرام، فعرضه حرام،

أنت قد لا تتخيّل يومًا بأن تقتل أخاك، أو أن ترفع سكّينًا في وجهه، فالمفترض ألّا يخطر في بالك الطعن في عرضه مهما كان، والعرض ليس في قضية الزنا والفجور فقط، بل حتّى الحديث خلف ظهره بشيء يكرهه، وحينما نقارن هذا الأمر بقول النبيّ ﷺ لما مرّ على الكعبة قال: [ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والّذي نفس محمّد بيده، لحرمة عبده المؤمن أعظم حرمة عند الله منك، ماله ودمه وأن يظنّ به إلّا خيرًا] (٢٣)، حرمة العبد المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة، كلّ مشاعر التعظيم تلك التي تعتلينا حينما ندخل البيت الحرام، وهيبة سواد الكعبة، والطواف، وهذا الجلال، لَحرمة العبد المؤمن أعظم، سواء كان أقلّ منك أو أنزل، عرب أو عجم، خدم أيًّا كان، طالما يشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمّدًا رسول الله، حرمته أعظم من حرمة الكعبة، دمه وماله وألّا يظنّ به إلّا خيرًا،

إذاً من حقوقنا على بعضنا، ألّا نظنّ ببعض إلّا خيرًا، حتّى لو رأيت أو سمعت منه خطأً، فالواجب تكذيب سمعك ونظرك، والظنّ به خيرًا، والتعذّر له بعدم القصد أو الفهم الخطأ، ولذلك زينب بنت جحش أم المؤمنين ا لمّا جاءها النبيّ ﷺ قال لها: ["يَا زَيْنَبُ، أَفْقِرِي أُخْتَكِ صَفِيَّةَ جَمَلًا "، وَكَانَتْ مِنْ أَكْثَرِهِنَّ ظَهْرًا، فَقَالَتْ :أَنَا أُفْقِرُ يَهُودِيَّتَكَ، فَغَضِبَ النبيّ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهَا، فَهَجَرَهَا، فَلَمْ يُكَلِّمْهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَأَيَّامَ مِنًى فِي سَفَرِهِ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ...] (٢٤)، طلب إليها ﷺ أن تعطي دابّتها لصفية، وصفية زوجة النبيّ ﷺ كانت يهوديّة ثمّ أسلمت، فرفضت زينب رضي الله عنها ذلك، فتلك زوجة جديدة ويهوديّة ما لبثوا أن غزوهم فاتحين، وكانت زينب بنت جحش قرشيّة ذات حسب ونسب، فهجرها النبيّ ﷺ لذلك ثلاثة أشهر، حتّى تابت توبة، ووسّطت الوسائط ليرجع إليها رسول الله.

الغضب لم يكن تجاه زينب رضي الله عنها، ولكن كيف لعبد مؤمن أن يقول عن أخيه المؤمن هكذا، فهي الآن آمنت ولم تعد يهوديّة، هكذا كان يربّي ﷺ من معه وأحبّ الناس إليه.

---

٢٢ أخرجه البخاري، صحيح

٢٣ أخرجه ابن ماجة في السنن وقال الألباني حسن

٢٤ أخرجه أحمد في المسند وقال الألباني صحيح

وفي القصة المعروفة الّتي حدثت مع عائشة رضي الله عنها حينما أشارت بيدها على قصر قامة صفية قائلة: [قلتُ: يا رسولَ اللّهِ، إنَّ صفيَّةَ امرأةٌ وقالت بيدِها هكذا -كأنها تعني قصيرةٌ- فقال لها رسول الله ﷺ: لقد مُزِجَت بكلمةٍ لو مُزِجَ بها ماءُ البحرِ لَمُزِجَ] (٢٥).

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: [كنّا جلوسًا عند النبيّ ﷺ، فقام رجل فوقع في رَجُلٍ من بعده، فقال رسول الله ﷺ: "تخلّل" -أي خذ عود الأسنان وخلّل بين أسنانك- فقال: ما أكلت لحمًا فأتخلّل، قال: "بلى من لحم أخيك أكلت آنفًا"](٢٦).

قام رجل من المجلس ليذهب، وحينما خرج هذا الرجل، تكلّم عنه أحد الجالسين، وهذه تحدث في حياتنا اليوميّة كثيرًا، تكونون في عزيمة، والكلّ جلوس هادئين، ثمّ ما إن تخرج واحدة حتى يتحدّث الجميع فيها، فقال رسول الله ﷺ للجالس الّذي تكلّم: "تخلّل" أي خذ عودًا وخلّل ما بين أسنانك، وهذه كانت عادتهم بعد أكل اللحم، فقال الرجل: لم آكل لحمًا، قال ﷺ: بل أكلته ونهشته فقم ونظّف أسنانك، وفي رواية أخرى للحديث قال: [والّذي نفسي بيدِه إنّي لأرى لحمَه بين أنيابِكما] (٢٧)، والنبيّ ﷺ لأنّه يرى مالا نرى قال: "إنّي لأرى لحمه بين أنيابكما" يرى لحمه يقطر دمًا، أرأيتم دعايات المقاطعة وغيرها والّتي يظهرون فيها منتجًا من المنتجات، كالبيبسي والكولا، وكأنّك حين تشربها تشرب دمًا، هنا نراه رسمًا وإعلانات، ولكن النبيّ ﷺ يراها فيمن يغتاب أخيه، وهذه مواعظ النبيّ ﷺ المباشرة الّتي تبلغ الكثير.

والغيبة ليست بالأمر الهيّن، ومن علامات المسلم أنّه من سلم المسلمون من لسانه ويده، أن يسلم من أمامك من لسانك ويدك، مثل لمّا تخرج من منزل أحد الأصدقاء، بخروجك تضمن أنّ من في الداخل لن يتكلموا عنك، تخرج بنفس طيبة حتى لو أخطأت بكلامك، ولو كان حديثك دجًّا، ولو كان مظهرك على أيّ حال، ولو كنت متضايقًا، تعرف أنّ أولئك بالذات سيعذرونك، ولن يقولوا عنك شيئًا سيّئًا وهذه حقيقة المسلم.

وقال النبيّ ﷺ للأعرابيّ: [يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضحْه في بيتِه] (٢٨)، مثلما تتبّعت عورات الناس، وقمت بنشر هذا الشرّ، يتتبّع الله عورتك، ويُسخِّر الناس الّتي تتبّعك، وقد يكونون من أراذل الخلق، يسخّرهم حتى يتبعون عورتك فتفضح، حتّى لو كنت في داخل بيتك، لأنّ الجزاء من جنس العمل،

---

٢٥ أخرجه الترمذي في السنن، وقال الألباني صحيح

٢٦ أخرجه ابن شيبة في المسند وقال الألباني صحيح

٢٧أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة وقال الألباني إسناده صحيح

٢٨ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني صحيح

تتبّع عوراتهم من حساب إلى حساب آخر على التطبيقات، تفتّش وتحلّل وتربط بين الأمور والكلمات والمواقف، فيسخّر الله من يذهب ويتتبّع عوراتك، ولذلك فإنّ كلّ غيبة يغتابها المرء لها حساب مؤجل يوم القيامة، تؤخذ من حسناتك،

واسمع لهذه القصة الّتي حدثت لخير البشر بعد نبيّنا الكريم ﷺ:[كانت العربُ تخدِمُ بعضُها بعضًا في الأسفارِ، وكان مع أبِي بكرٍ وعمرَ رجلٌ يخدِمُهما، فناما، فاستيقظا، ولم يُهيِّئْ لهما طعامًا، فقال أحدُهما لصاحبِه: إنَّ هذا لَيوائمُ نومَ نبيِّكم ﷺ -وفي روايةٍ: لِيوائِمَ نومَ بيتِكم- فأيقَظاه فقالا: ائتَ رسولَ اللهِ ﷺ فقُلْ له: إنَّ أبا بكرٍ وعمرَ يُقرئانِكَ السَّلامَ، وهما يستأدِمانِك، فقال: "أَقرِهِما السَّلامَ، وأخبِرْهما أنهما قد ائتدَما"، ففزِعا، فجاءا إلى النبيِّ ﷺ فقالا: يا رسولَ اللهِ بعثْنا إليك نستأدِمُك، فقلتَ: قدِ ائتدَما فبأيِّ شيءٍ ائتدَمْنا؟ قال: "بلحمِ أخيكما، والذي نفسي بيدِه إني لأرى لحمَه بين أنيابِكما، فقالا: فاستغفر لنا، فقال: "هو فليستغفر لكم"] (٢٩)، قالوا عن الخادم ما معناه أنّه يحسب أنّنا لسنا في سفر، نائم كأنّه ينام في بيته، فهم حقيقة لم يقولوا شيئًا، بل كان كلامًا مهذّبًا، ولو قمنا نحن ورأينا خادمة المنزل لم تقم من نومها بعد، ولم تفعل ما عليها فعله قبل استيقاظنا، لرأيت ردة الفعل! تخيل لهذه الكلمة التي قيلت فقط أكلا لحم أخيهما! فهذه ممّا نحسبه هيّنًا وهو عند الله عظيم.

واحدة تسأل في برنامج للإفتاء: هل للخادمة غيبة؟، فهي تشتكي أنّها بطيئة، وأنّها لا تفعل ومن هذا، فسألها الشيخ: هل هي مسلمة؟ قالت: نعم، قال: لها غيبة هي أختك فأي كلام يقال وراءها غيبة، إذا أردت منها شيئًا، كأن تسرع في عملها، أو أن تزيد الملح، وأن تنتبه على نفسها، قوليه لها في وجهها، ولكن لا تتكلمين شيئًا في ظهرها طالما كانت مسلمة، فلها هذه الحرمة.

يقول جابر بن عبد الله كُنَّا مَعَ النبيّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ] (٣٠)

وقال النبيّ ﷺ: [من قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال حتّى يخرج ممّا قال] (٣١)، لو تكلّمنا الآن عن البهتان، بأن تفتري على إنسان مؤمن فرية ما ليست فيه، يسكنك الله ردغة الخبال، وهي عصارة أهل النار، المكان الّذي يتجمّع فيه القيح والصديد من حروقهم، يسكن هذا المكان حتّى يخرج ممّا قال ويتوب عنه، وهذا ليس بالأمر الهيّن أبدًا، قال النبيّ ﷺ أيضا في الحديث: [ومن رمى مسلمًا بشيءٍ يريدُ شينَه به حبسَه اللهُ على جسرِ جهنمَ حتى

٢٩ أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة وقال الألباني إسناده صحيح

٣٠ أخرجه أحمد في المسند، وقال الألباني حسن لغيره

٣١ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني صحيح

يخرجَ مما قال] (٣٢)، حينما يجوز الناس الصراط ليدخلوا الجنّة يوم القيامة، هناك من يُحبس على الصراط لأنّهم قالوا في أناس آخرين ما ليس فيهم،

مثل أنّ هناك من تغار منه ولا تحبه، فيتكلم عنه الآخرون بشيء حسن ويثنون عليه، ولكن أنت تريد أن تتحدث عنه بالسوء في قفاه، جزاؤه الحبس على جسر جهنم حتى يخرج ممّا قال، فإما أن يتوب، أو يبقى معذّبًا، أو يسقط في جهنّم،

وقال النبيّ ﷺ في الحديث: [خمس ليس لهنّ كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير الحق، وبهت مؤمن، والفرار من الزحف، ويمين صابرة يقتطع بها مالًا بغير حقّ] (٣٣)، بين تلك الخمسة، "بهتان المؤمن" بأن يفتري على أخيه فرية وهي ليست فيه، وهو باختصار أن يكون هناك أمر في بالك عن أحدهم، أو تظنّ به سوءً وهو ليس حقيقة فهذا افتراء، لأنّ كل ما لديك ظنّ فقط، تحبِك وتؤلف شخصيّة أو حدثًا كاملًا حسب ظنونك، لكنّك لا تملك أيّ دليل حسيّ، وهذا هو البهتان،

ولذلك إن جرى حديث في أيّ مجلس عن شخص ما، ولم تستطيع الصدّ عنه، أو الذبّ عن عرضه، فلا ينبغي الجلوس بهذا المجلس، قم وغادر حتّى لا يراك الله عزّ وجلّ شاهدًا في مجلس كهذا، وتذكر قوله ﷺ:[من ذبّ عن لحمِ أخيه بالغيبة كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار] (٣٤) وفي الحديث الآخر: [من ردّ عن عرض أخيه، ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة] (٣٥)، فيكون الذبّ عن العرض حتّى لو أدى إلى كره الآخرين لك، ولكن ينبغي أن تصرّح أنّك لم تر منه إلّا خيرًا، وأنّك ما عرفت عنه إلّا عكس ما يقولون.

ومن الأشياء اللسانية التي يستهان بها أيضًا، حينما نعلم أنّ من أعظم نعم الله عزّ وجلّ، أن يرزقك الألفة والمحبّة مع من تحب من أولادك وأخوتك وعائلتك، أبناء الأعمام وغيرهم، وأسوأ ما يفعله الإنسان تدمير هذا الحبّ بالمشي بين هؤلاء بالنميمة، أواصر مربوطة منذ سنين، وبينهم لحم ودم وعشرة دامت لعشرين وثلاثين سنة، ثمّ تنقطع هذه الأواصر لأنّه كان هناك من يمشي بالنميمة "من تحت لتحت"، مكالمة هاتفيّة بعد مجلس ما، يدور فيها "رأيت فلانة؟ هل انتبهت على قولها؟ سأقول فقط هذه ليست أول مرة، قالت هكذا من قبل، أنت غافلة عنها، وأنا اعلم هي تتقصدك"، هذه المكالمة من أبغض الأعمال عند الله عزّ وجلّ، ولذلك قد يقول قائل أنّها فضفضة، وهناك المجلس التحليليّ بعد العرس أو أيّ مناسبة، يتناقلون بينهم ما أعجبهم وما لم يعجبهم، وما حدث من مواقف مضحكة

---

٣٢ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني حسن

٣٣ أخرجه أحمد في المسند، وقال الألباني صحيح

٣٤ أخرجه أحمد في المسند، وقال الهيثمي إسناده حسن

٣٥ أخرجه الترمذي في السنن وقال الألباني صحيح

ومربكة، لا حرج من هذا، تحدّث وقل ما شئت، لكن دون الدخول في عرض أحد، ولا تبدأ بسرد الأسماء "فلان قال وفلان فعل" وأنت تعلم أنّ قولك هذا قد يحسب لأحد الأطراف، وقد يحفر فجوة بين اثنين.

قال أبو هريرة رضي الله عنه : [كنّا نمشي مع رسول الله ﷺ، فمررنا على قبرين، فقام فقمنا معه، فجعل لونه يتغيّر، حتى رعد كمّ قميصه، فقلنا له: ما لك يا نبيّ الله؟ قال: "تسمعون ما أسمع؟"، قالوا: وماذا كان يا نبيّ الله؟ قال: "هذان رجلان يعذّبان في قبورهما عذابًا شديدًا في ذنب حيّ" قلنا: وممّا ذاك يا نبي الله؟ قال: "كان أحدهما لا يستنزه من البول، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه، ويمشي بينهم بالنميمة"] (٣٦)، ارتجف النبيّ ﷺ حتّى رجف كمّ قميصه من عذاب هذين، وتأمّل كم سنة لهما في القبر يعذّبان!

فأمّا أحدهم فكان لا يتنزّه من البول، والآخر كان يمشي بالناس بالنميمة جاعلًا مكانته الاجتماعية وحضوره بين الناس مَن ينقل الأخبار و"يجيب العلوم"، تغيّر لونه ﷺ لشدّة ما سمع من صراخ من يعذّب لهذا الفعل، وارتعد حتّى ارتعد كمّ قميصه! آلاف السنين وهو يدفع ثمن هذه الفعلة الّتي فعلها بالإفساد بين الناس، وهذا عذاب البرزخ فقط، قد يتحمّله لمئتي سنة أخرى في قبره، ولكن هناك العذاب الأخرويّ الّذي ينتظره إذا قامت القيامة،

يقول النبيّ ﷺ: [لا يدخل الجنّة قتّات] (٣٧) والقتّات هو النمّام، فالنمّام لا يدخل الجنّة، ولا يجوز الصراط، فيعذّب ما شاء الله له أن يعذّب، حتّى يأذن الله له، وفي رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: أنّه بلغه أنّ رجلًا ينمّ الحديث فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [لا يدخل الجنة نمّام] (٣٨) وقال النبيّ ﷺ: [ألا أخبرُكم بأفضلَ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ ؟ قالوا: بلى، قال: إصلاحُ ذاتِ البينِ ، وفسادُ ذاتِ البينِ الحالِقةُ] (٣٩)، الإفساد بين الناس يحلق الدِّين، تخيّل كيف يحلق الموس الشعر بمروره على الرأس، فيذهب كلّ الشعر، وهكذا الإفساد بين الناس، وفساد ذات البين يجعل النفوس متشاحنة، وفيها من البغضاء الّذي لا يبقى معه شيء من الدِّين، والنميمة من أعظم الكبائر، وقريب منها عمل قلبيّ أختم به.

هذا العمل ينافي كون القلب سليمًا مطمئنًّا راضيًا، هذا العمل هو الحسد، وهو إذا وقع يحلق الحسنات، ويجعلها كلّها رمادًا كما تحرق النار الحطب.

---

٣٦ أخرجه ابن حبان في الصحيح، وقال الألباني صحيح

٣٧ أخرجه البخاري، صحيح

٣٨ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني صحيح

٣٩ أخرجه أبو داود في السنن وقال الألباني صحيح

أبو دجانة رضي الله عنه عند موته دخلوا عليه، فوجدوا وجهه متهلّلًا، أي فيه نور وابتسامة، فقالوا له: ما أرجى عمل عملته؟ أي لتوقّق وتموت وأنت راض، قال: "أرجى عملي أنّي ما تكلّمت فيما لا يعنيني، وما حملت في قلبي حسدًا على أحد" وهذه من يقدر عليها؟ !

ما كان يسأل عن أيّ شيء لا يعنيه، ولا يرخي له سمعه أصلًا، وما كان يحمل في قلبه حسد على أحد من الناس، الذين أعطاهم ربّي خيرًا كثيرًا، وزاد عليهم، وجدّدت لهم النعم، ما كان يحسد ولا يتمنى زوال النعمة على أيّ أحد، ولذلك إن كنت في مكان عملك، وزميلك ترقّى، فلا يأتي في بالك هذا السؤال: "لماذا ترقّى، وليته لم يفعل" ولو كان شعورًا قلبيًّا فقط، هذه ال"ليت" كأنّك تتمنّى زوال النعمة عنه، وهذا هو الحسد، حتى لو كان لسانك ينطق الدعاء له بالبركة، ولكنّ المغزى بما في القلب من الداخل، هل حاسد يتمنّى زوال النعمة؟

وهناك من تتمنى حين تسمع خطبة ابنة صديقتها أن يا ليت الّتي خُطبت ابنتها، ويصير في خاطرها شيء "يا رب تتفركش، يا رب لا تتمّ" هذا الشعور الّذي لا كلام فيه هو حسد أيضًا، وهو ينافي القلب السليم، وهناك من الناس حينما يرى على أحد نعمة أو شيئًا جديدًا، حتى لو كان لباسًا أو غيره، يجيء في قلبه وعلى خاطره بعد قوله ما شاء الله "أن هذا قد ختم الدنيا كلها، ولم يُبقي على شيء" ويصبح من داخله يريد له أن ينكسر ويتألم، وهذا من الحسد وتمنّي زوال النعمة،

ولذلك فإنّ الإنسان المؤمن يعرف أنّ الأمور ليست على صورها، هناك من لديهم المال ولديهم هذا الشكل "قارون" قال تعالى: {قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ} (القصص، ٧٩)، هناك من يُعطى المال والصحّة، لكنّه لم يُعط هناة البال، قد يكون لديه من الأرق الّذي يجعله لا ينام، وقد يكون لديه من الهمّ الّذي يقعده، لماذا نأخذ على الشكل الظاهري المال والصحّة والشكل؟ هناك أمور مخفيّة.

إحدى الفتيات ذهبت في رحلة إلى منطقة من مناطق المملكة، ثمّ رجعت وجاءت إلينا تأخذنا بالأحضان وتقول: "الحمد لله أنّنا من أهل المنطقة الشرقية، الحمد لله أن نحن هنا في الشرقية"، ثمّ أكملت: "لأنّ مكانهم مخيف، والناس هناك مخيفة، وحياتهم مختلفة وبعيدة عنّا" هل حمدنا الله أنّنا هنا قط؟ هل حمدنا الله يومًا على الألفة والأمان والسكينة؟ هل حمدنا الله على أنّ الناس من حولنا طبيعيّون؟ أو ليس لديهم تكلّف زائد؟ أو على الأقلّ أنّهم ينامون مبكرًا لو كانوا كذلك،

فهناك أشياء بسيطة من النعم الّتي ألفناها، ليست ضمن حسبتنا، لكن حينما تملك ذلك القلب، وتلك العين الصحيحة، سترى أمورًا لم تكن تراها يومًا من الأيّام على أنها من النعم، وقد تكون من أجلّ النعم الّتي أعطانا الله عزّ وجلّ إيّاها، ولا يعرف الإنسان سوء الحسد إلّا بقول النبيّ ﷺ: [ولا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ الإيمانُ والحسدُ] (٤٠)، هاتان الخصلتان لا يمكن أن يجتمعا: الإيمان والحسد،

---

٤٠ أخرجه النسائي في السنن وقال الألباني حسن

وأهل السنة هم أرحم الخلق بالخلق، ولذلك إن لم يكن قلبك طاهرًا نظيفًا طيّبًا، فهناك خلل في إيمانك، قلب لا يتمنّى الخير للناس، فيه سواد، ولا يرحم، قد يكون أطيب قلب مع كلّ الناس، إلّا شخص واحد تكنّ له من الشرّ الكثير، وبك عليه من الغيظ الأكثر، عليك أن ترحمه من أذاه لنفسه، لأنّك مؤمن أنّ هناك يومًا نعود له، سيقتص الله منه بالحساب فيه، وقد تدعو له بالتوبة قبل الموت لرحمتك به "يا ربّ ارزقه توبة قبل الموت على لسانه الّذي يفتري بالناس، سامحته ولكن ويله من الله"

ولذلك قال ﷺ: [دبَّ إليكم داءُ الأُممِ قبلكم الحسدُ والبغضاءُ هي الحالقةُ، لا أقولُ تحلِقُ الشَّعرَ ولكن تحلِقُ الدِّينَ، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّةَ حتى تُؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أفلا أُنبِّئُكم بما يُثبِّتُ ذلك لكم : أَفشوا السلامَ بينكم] (٤١)، أن يكون بينك وبين إنسان شيء، وفي قلبك عليه شيء، ثم تهمّ بقول "السلام عليكم" هذا ليس هيّنًا، السلام أحيانًا يسقط جبال من الشحناء بين المتخاصمين،

وقال النبيّ ﷺ: [خيرهما الّذي يبدأ بالسلام] (٤٢)، "لن أسلّم، ولن أرمي بنفسي عليها، بسلامتها" هكذا يقولون دومًا، ولكن خيركما من يبدأ بالسلام، وحتى لو سلمت وألقى نظرة إليك ولم يردّ السلام، أو لم يمدّ يده وأشاح عنك بوجهه وظهره، يسلّم عليك ملأ من السماء هُم خير وأحبّ منه، فالملائكة كلّهم شهدوا على هذا الموقف، وحينما ترى يدك المردودة فارغة، لا تحزن، بل استشعر أنّ هناك حوالي سبع مائة ملك سلّموا على هذه اليد الفارغة، فلا تتوقّع أنّ مغالبة نفسك في إفشاء السلام أمر هيّن، قال النبيّ ﷺ: [لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا] (٤٣)

من المهمّ تمرين النفس على عدة نقاط قبل النوم:

- ادعُ الله عزّ وجلّ أن يرزقك قلبًا سليمًا
- ادعُ الله عزّ وجلّ أن يسلل سخيمة صدرك.

صدرك مليء على أحد ما، شخص بعينه لست قادرًا على تخطي الموقف الّذي حصل لك معه، هذا بالذات ادعُ الله عزّ وجلّ وقل: "يا رب اسلل سخيمة صدري" أرأيت الشعرة كيف تنسلّ؟ مثل ذلك، وهذا اللفظ جاء في دعاء: "ربي أعنّي ولا تعن عليّ، وكِد لي ولا تكِد عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، واهدني ويسّر الهدى إليّ، ربّي اجعلني لك شكّارًا، لك ذكّارًا، لك رهّابًا، لك مطواعًا، إليك أوّاهًا مُنيبًا، ربّي تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وثبّت حجّتي، وسدّد لساني، واسلل سخيمة صدري، واهدِ قلبي" الزم هذا الدعاء واجعله ممّا تدعو به دومًا

---

٤١ اخرجه الترمذي في السنن، وقال الألباني حسن

٤٢ أخرجه البخاري، صحيح

٤٣ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وقال الألباني حسن

علّمنا النبيّ ﷺ عملًا يفعل مفعول السحر في الصدر، حيث قال: [أفلا أخبرُكُم بما يُذهِبُ وحرَ الصَّدرِ؟ قالوا: بلَى! قالَ: صيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شَهْرٍ] (٤٤)، وحر أي الشيء الّذي حرّه، الّذي جعل صدرك ثقيلًا لا يستطيع التجاوز، صُم ثلاثة أيّام، (اثنين -خميس -اثنين، أو خميس -اثنين -خميس، أو الأيّام البيض) المهم أن تصوم ثلاثة أيّام من كل شهر، فينظف الصدر، ويكون سليمًا.

وباستشعار الإنسان في كلّ يوم لنعم الله عزّ وجلّ التي أغدقها عليه أيضًا يسلم الصدر، فحينما نقول أننا في زحام من النعم فهذه حقيقة.

هذه الأمور التي تكلّمنا عنها كلها أشياء يوميّة نعاني منها، والتي يقع المرء فيها دون حساب، وهي كلّها من فلتات اللسان. هل هناك أمور أخرى يعتقدها القلب؟ وأمور أخرى متعلّقة بظواهرنا وجوارحنا؟ نعم، ولعلّ الله ييسرها لنا في لقاء آخر.

هذا والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك..

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

٤٤ أخرجه النسائي في السنن وقال الألباني صحيح لغيره